حيوانات وردت في آيات

(٨)

هُدْهُدُ سُلَيْمان

أحمد سويلم

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

هدهد سليمان. -ط٢. - الرياض، ١٤٢٧هـ

٢٤ ص ؛ ١٧×٢٢سم

ردمك: ٤-٩٣٨-٤٠-٩٩٦٠

١-قصص القرآن. ٢- قصص الأطفال. أ - العنوان

ب- السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٢٧/٨٧٥

ردمك: ٤-٩٣٨-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٧/٨٧٥

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾

[النمل: ٢٠ - ٢١]

obeikandl.com

obeikandl.com

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ نهى النبيُّ ﷺ عن قتل أربعٍ من الدوابِّ: النملةِ، والنحلةِ، والهدهدِ، والصُّرَدِ». صحيح، رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ.

يلقِّبُه العربُ بأبي الأخْبارِ!

وهُم يقصدونَ مَوقفَه من سُلَيْمانَ ـ عليه السلامُ ـ حينَ أخبرَه بخَبرِ بلقيسَ، مَلكَةِ سبَأ.

ويُذكَرُ عنه أنَّه يرَى الماءَ في بَاطنِ الأرْضِ كمَا يَراهُ الإنسانُ في بَاطنِ الزُّجاجةِ.

وقيلَ إنَّه كانَ يَدُلُّ سُلَيْمانَ على الماءِ حينَما يخرجُ إلى الصَّحراءِ، ولهذَا قيلَ في الأمثالِ: أبصَرُ من هدهُد.

وارتبطَ الهُدهدُ بسليمانَ ـ عليه السلامُ ـ أكثرَ من أيِّ حيوانٍ أو طائرٍ آخرَ؛ فقدْ كانَ الهدهدُ دليلَه وعَينَه الأمينةَ، وخادمَه المطيعَ.

وكانَ سليمانُ الابنَ المفضَّلَ لدَى أبيه داوُدَ عليهما السلامُ.

وبعدَ أن بلغَ سُليمانُ مَبلغَ الرِّجَال أخذَ داوُدُ يُشاورُه في أمُورِه.

ويَومًا دخلَ علَـى دَاودَ رجُلان يتنازعَانِ، أحـدُهما لدَيه أرضٌ مـزروعةٌ، والآخرُ لدَيْه غَنمٌ ترعَى.

واتَّهمَ صـاحبُ الزَّرع أخَاه صـاحبَ الغنمَ أنَّ أغنامَه أكلَتْ مـن أرضِه، ولَم تُبْقِ فيها زرعًا.

فحكَمَ داودُ أن يُـعطيَ صاحبُ الغَنَم غنمَـه إلى صاحبِ الزَّرْعِ نَظيـرَ ما أكلَتْ من أرضِه.

ولَّما عُرِضَت القضيةُ علَى سُليمانَ، وعَلمَ بحُكمِ أَبـيه فيهَا أبدَى فيهَا رأيًا آخرَ، حـيثُ قالَ: علَى صَاحبِ الغَنمِ أن يدفعَ غنمَـه إلى صاحبِ الزَّرْع سنةً واحدةً كاملةً، فيكونَ لَه نسلُها ولبنُها وأصوافُها، فإذَا نمَا الزرعُ وكبرَ كمَا كانَ يومَ أكلَتْه الغنمُ نَعِمَ صاحبُ الزَّرع بزَرْعه، واستعادَ صاحبُ الغَنَمِ غنمَه.

وحكَمَ داودُ بمَا قالَه ابنُه سليمانُ!

وكـانَ سليمـانُ لا يزالُ فـتًى صَـغيـرًا حـينَما اسـتـخلَفَـه أبوه علَى بَني

إسرائيلَ.

وكبرَ على بَني إسرَائيلَ ذلكَ. لكنَّ سُليمانَ كانَ أفقهَ وأعلمَ بَني إسرائيلَ، وقَد دعَا ربَّه قائلاً:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي...﴾ [ص: ٣٥].

فأجابَ اللهُ دُعاءَه، وأعطَاهُ من فضلِه.

كمَا قضَى اللهُ تعالى أن تكونَ معجزتُه واضحةً وقويةً، فسخَّرَ لَه الريحَ تحملُ بساطَه إلى مسيرَة شَهر في وَقْت قَصير من النَّهار، وسخَّرَ له الجنَّ والحيوانَ والطُّيور، وعلَّمه لُغتَها، فصاحبَتْه في غَزَواته وتنقُّلاته.

وكانَ إذا أرادَ السّفرَ قعدَ علَى عَرشه وأحاطَه الجنُّ والإنسُ وظلَّلَه الطَّيرُ، وحملَتْه الرياحُ إلى حيثُ يريدُ.

وذات يَوْم مرَّ سليمانُ علَى وَادي النَّملِ، فخرجَتْ نَملةٌ، فا ّ مَوكبَ سُليمانَ صاحَتْ:

﴿...يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَ

لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

فحملَت الريحُ قَولَها إلى مَسامعِ سليمانَ، فتبسَّمَ ضاحكًا من كَلامها، وحمِدَ اللهَ على ما آتَاه من هَذا النَّعيمِ العَظيمِ.

وهذه نملةٌ من أمَّةِ النَّملِ انتبهتْ إلى الخطرِ المحدقِ بأمَّتِها فحذَّرتْها منه وبكلِّ أدب مع نبيِّ الله وجندِه وكانتْ سبباً في إنقاذِ أمَّتها، فهلْ نكونُ نحنُ كهذهِ النَّملةِ؟! فما أكثرَ الأخطار المحدقةِ بأمتِنا.

ويَحكي تاريخُ سُليمانَ مواقفَ كثيرةً يَقْضِي فيها سُليمانُ حاجاتِ الناسِ، ويُعطِيهم من فَضلِ اللَّه العَطاءَ الوَفيرَ.

وكانَ سليمانُ يعقدُ مجلسَه، ويحضُرُه الإنسُ والجنُّ والطَّيرُ والحيوانُ، وكانَ يحبُّ الدَّعوة إلى اللهِ والخُروجَ والغَزْوَ في سَبيلِ اللهِ.

وكانَ سليمانُ قَد انتهَى من بنَاء بَيتِ المَقْدسِ لكَيْ تُؤدَّى فيه العِبادةُ، وتُقدَّمُ فيه القَرابينُ إلى اللَّه تعَالى.

وكانَ سليمانُ ـ عليه السلام ـ يخرجُ معه أتباعُه المؤمنون من الإنسِ ومن

يصحبُهم ممنْ سخَّر اللهُ تعالى له من الجنِّ والطير.

وذاتَ مرَّة نزلَ عليه السلامُ بواد من الوديان فسألَ أعوانَه: من يدلُّنا على الماءِ؟

قَالُوا: لا يَدُلُّنا علَى المَاءِ إلا الهُدهدُ.

قالَ: وأينَ الهدهدُ؟ إنَّني لَمْ أرَهُ منذ وَقتٍ طَويلٍ.

بحثَ الأعوانُ عَن الهُدهُد فلَمْ يجدُوه، فأسرَعُوا إلى سُلَيمانَ، يسوقُ بعضَهم البغضُ للهُدهُد والحقْدُ عليه؛ لقُربه من سُليمانَ، فأخبرُوه بغيَابِه وأخذُوا يُوغِرونَ صَدرَ سليمانَ عليه.

وهنَا غضبَ سليمانُ، وتوعَّدَ الهدهدَ بالعَذاب الشَّديدِ؛ لأنه ظنَّ أنَّه يلعبُ، وأنَّه غائبٌ بلا إذنٍ منه.

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾

[النمل: ٢٠، ٢١]

أمَّا الهدهدُ فقدْ رَأى سليمانَ قَد عسكرَ في هَذه الأرْضِ الخَضْراءِ، وأدركَ أنَّ سليمانَ قد أعجبتْه هَذه الأرضُ، وأنَّه سوفَ ينشغلُ بها وقتًا، ووجدَها فرصةً لأنْ يطوفَ بالفضاء، ويمتِّعَ نظَرَه بهذه الأرْضِ الواسعةِ التي تجمعُ بينَ الأخضرِ والأصفرِ في لَوْحَةٍ واحدةٍ.

وأطلقَ الهُدهدُ جناحَيْه بالفَضاء، وأخذَ يعلُو ويعلُو، وينظرُ إلى الأرضِ يمينًا وشِمالاً، حتَّى وقعَتْ عيناهُ على بُستانٍ جَميلٍ وسطَ الصَّحراءِ.

كانَ سليمانُ بعدَ أن اكتشفَ غيابَ الهُدهُد في غَيظ شَديد، واستَدعَى طائرَ العُقاب، وهُو ملكُ الطَّير، وأمرَه بالبحْث عن الهدهُد وإحضَاره فوراً.

فارتفعَ العُقابُ إلى السَّماء، وأخذَ ينظرُ يمينًا وشمالاً، والأرضُ تحتَه كالإناءِ الكَبير، ثُم حدَّقَ يمينًا فرأى الهُدهدَ مُقبلاً لاهثًا، فانقضَّ علَيه. وهُنا فَطِنَ الهدهدُ أنَّ العقابَ يريدُ به سُوءًا.

قالَ لَه الهُدهدُ: أرجوكَ، ارحَمْني.

صاحَ العقابُ: ويحَك أيُّها الهُدهدُ؛ إنَّ نَبيَّ اللَّه قَد أقسمَ أن يعذِّبَكَ عذابًا شَديدًا لغيَابِك عَنه.

وقفَ الهدهدُ بينَ يدَيْ سليمانَ خاشعًا مُرتَعشًا ذَليلاً. وصاحَ سليمانُ به: لا بدَّ أن تنالَ عقابَك، سأعذِّبُكَ عَذابًا شَديدًا لَم تَذُقْه من قَبلُ.

قالَ الهدهدُ: علمتُ ـ يا نبيَّ اللهِ ـ مَا لَمْ تعلَمْ أنتَ، بالرَّغْم من سَعَةِ علْمك وسُلطانك، وضآلتي وصِغَري.

فقَدْ جئتُك من سَبَأ بنبَأ يَقينٍ لا شَكَّ فيه.

فإنِّي رأيتُ بعَيني مُلكًا عَظيمًا تحكُمُه امرأةٌ تُسمَّى بَلقيسَ.

وعَلمتُ أنَّها ورثَتْ هَذا المُلْكَ عَن أبيها الذي كانَ أعظمَ المُلُوك، وكانَ يملكُ اليمنَ كلَّها.

إنَّها تملكُ حُسنَ المَنطقِ والتَّدبيرِ، وحُسْنَ السِّيرةِ، وتَعرفُ كَيفَ تَسُوسُ الناسَ، ويحرُسُها رجالٌ أقوياءُ، ويخدمُها بناتٌ شريفاتٌ، ولدَيها عددٌ كبيرٌ من عُقلاءِ الناسِ تشاورُهم في أمُورِها.

وقَد علمتُ أنَّه مضَى عليهَا ما يقربُ من سَبع سنينَ في مُلكها يا نبيَّ الله.

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٢ - ٢٤]

تأمَّلَ سليمانُ الموقفَ، وسبَّح للَّه وحدَه الذي يعلمُ غَيْبَ السَّموات والأَرض، ثمَّ نظرَ إلى الهدهُد الذي أخذَ يُكملُ وَصفَه لمملَكة بَلقيسَ، حيثُ قالَ: إنِّي رأيتُ لَها عَرشًا عَظيمًا من الذَّهبَ والدُّرِّ والجَواهِر الثَّمينة، وعلَيه حرسٌ أشدَّاءُ.

كمَا رأيتُها وقومَها يسجُدونَ للشَّمس من دُون اللَّه تَعالَى.

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]

حينَئذ غضبَ سليمانُ، وأصدرَ أمرَه للتأكُّد ممَّا جاءَ به الهدهُدُ.

ثمَّ خَلا سليمانُ بنَفْسه يفكِّرُ في أمْر بلقيسَ. وأخيرًا هَداهُ اللهُ إلى أنْ يكتبَ إليهَا رسالةً:

﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

[النمل: ٢٨ - ٣١]

كانَ سليمانُ أبلغَ النَّاس في الكتَابة والإيجَاز، وأقلَّهم إمْلاءً، وكذلكَ كانَ الأنبياءُ جميعًا صَلواتُ اللَّه وسلامُه عَليهم أجمَعينَ، يَكتُبونَ فَلا يُطيلونَ، وإنَّما يُوجزونَ الحكمةَ، ويقُولونَ ما قلَّ من الكَلامِ، وما دلَّ علَى الغَرضِ.

وبعدَ أن كتبَ رسالتَه ختَمَها بخَاتَمه،وطَلبَ الهدهدَ، وقالَ لَه:

- اذهبْ برسَالَتي هَذه إلى هَذه المَلكة، حيثُ وجدْتَهَا، وترقَّبْ جَوابَها، وعُدْ إليَّ سَريعًا بأخبَارِها.

سَعدَ الهُدهدُ بهَذه المهمَّة، وسعدَ أكثرَ أنَّه ذهبَ بها وحيدًا لا يرافقُه أحدٌ من الطُّيور، فيقاسمُه الشَّرفَ والمجدَ في إنجازهَا.

وأسرعَ الهدهدُ إلى بَلقيسَ في قَصْرِها.

وفُوجئَت المَلكةُ بالهدهُد يُلقي بينَ يدَيْها الرِّسالةَ، فتعجَّبتْ، واندهشَتْ، وقرأتْها، فازدادَتْ قلقًا ودهشةً، بالرَّغْم من وُجُودها وسطَ أعوَانِها وجُيوشِها.

وتنحَّى الهُدهدُ إلى زاويةٍ يُمكنُه المراقبةُ منها.

وهاهيَ الملكةُ وقَد شردَ ذهنُها تفكِّرُ في أمْر هَذه الرِّسالةِ، وفي خَاتَم سُليمانَ.

واستطاعتْ بما ملكَتْ من الذَّكاءِ والفِطْنةِ أن تتأكَّدَ أنَّ وراءَ هَذه الرِّسالةِ شيئًا غيرَ مألُوفٍ.

ومعَ ذلكَ جَلستَ إلى وُزَرائِها وأكَابرِ دَوْلَتها، وعَرضَتْ عليهِم رسالةَ سليمانَ.

قالُوا: تَعلَمينَ ـ يا مَليكَتَنا ـ أنَّنا قومُ حَرب وفُروسيَّة ونِزالٍ، لا أهلَ رَأي وسَداد، وقَد تركْنَا لَك أمورَنا، ولتَفْكيرِك شُؤونَنا؛ فليسَ بنَا أفضلُ منك عَقلاً وصَوابًا.

أدركَتْ بلقيسُ أنَّ قومَها يريدُونَ الحَرْبَ، وأنَّهُم ليسَ لديهم استعدادٌ لفَهم شَيء آخرَ. لكنَّها أخذَتْ تقنعُهم بأنَّ الصُّلحَ والسَّلامَ أفضلُ من القتَال.

قالتْ لَهُم: إنَّ الملوكَ إذَا دخَلُوا قريةً واقتَحمُوها ضربُوها علَى سَاكنيها وأبادُوا خَيْرَاتها، وجعلُوا أعزَّةَ أهْلِها أذلةً، وتحكَّمُوا في كُلِّ شَيءٍ.

قالُوا: لكنَّنَا نملكُ جَيشًا لا يَعْدِلُه جيشٌ آخَرُ.

قالتْ: أنَا أعلمُ ذلكَ، لكنَّ الحكمةَ في هذه الأمُورِ واجبةٌ.

أرَى أن نَختبرَ سُليمانَ، لنعرِفَ نيَّتَه، وما يخطِّطُ لنَا.

قالُوا: كيفَ؟!

قالتْ: أرَى أنْ نرسلَ إليه هديةً ثَمينةً، فيهَا كلُّ غالٍ ونَادر، فإنْ كانَ نبيّاً حقّاً لم يقبَل الهديةَ وأعادَها، وطالبَنَا باتِّباع دينِه، وإنْ كانَ مَلكًا طَامعًا في السُّلطان قَبِلَ الهديةَ، وحينَئذ نواجهُه بجيُوشِنا.

وأفاقَ المُستَشارونَ من عِنادهم، ووافَقُوا علَى هذَا الرَّأي. وأخَذُوا

يجمَعونَ كلَّ غالٍ وثَمينٍ، وحملَه فريقٌ من كرامِ القَوم في مَوكبٍ كَبيرٍ، واتَّجهُوا إلى سليمانَ.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾. [النمل: ٢٩ - ٣٥]

وكانَ الهدهدُ قد اطَّلعَ علَى ما تَنويه بلقيسُ، فأسرعَ يَطوِي الفضاءَ ودخلَ علَى سليمانَ، وأخبرَه بخَبر بلقيسَ.

فأمَرَ سليمانُ الجنَّ، فبنَوا لَه قَصْرًا عظيمًا ممتَدًّا داخلَ البَحْر، وجعلُوا أرضَه فوقَ الماءِ، وكانتْ أرضُه من الزُّجَاجِ الذي يمكنُ أن يُرَى منه كلُّ ما في

البَحْر من أسمَاكٍ وأعشَابٍ.

كانَ قصرًا عظيمًا يهزُّ القلوبَ، ويُبهرُ العيونَ.

ويقتربُ رُسُلُ بلقيسَ من صَرْح سُلَيمانَ، وقَد بَهرَتْ أعينَهم تلكَ النعمةُ التي بدَتْ في كلِّ مكَان، فأحسُّوا بضآلتِهم، وضآلةِ هدَاياهم أمامَ ما تشهدُ أعينُهم.

ويستقبلُ سليمانُ الرسلَ، ويرحِّبُ بهم، ولكنَّه يردُّ عليهم هَداياهُم، ويُخبرُهم أنَّه مَلِكٌ نبيٌّ، وأنَّ علَيهِم أنْ يأتُوه طائعينَ، وإلا حاربَهم.

وصمتَ الرسلُ، وعادُوا بهداياهُم إلى بَلقيسَ، يحكُونَ عَن سُليمانَ ومُلكه.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧]

فقالَت الملكةُ:

هكذَا أيُّها الـوزراءُ! أُقسمُ لقَد علمتُ أنَّـه لَيسَ مجرَّدَ مَلك طَامـع فينا، وإنَّمـا هُو نبيٌّ، وليسَ أمـامَنا مفَـرٌّ من السَّـمعِ والطَّاعـةِ، فلنُسـرعْ إلى تَلبيَـة دَعوتَه، ونَكفَّ عَن عنَادِنا.

ثُم أرسلَتْ بلقـيسُ إلى سليمـانَ عليـه السلام مَن يخـبرُه بقـدُومِهـا هي وقَوْمِها.

وأعدَّت العُدَّةَ للرَّحيل إلى حَيثُ يوجَدُ سليمانُ عليه السلام.

وأمرَتْ حُرَّاسَها بإغلاق أبواب القَصْرِ، وحِماية عَرشِهَا الذَّهَبيِّ.

قال سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]

كانَ سليمانُ عليه السلام يريدُ أن يفاجئَها، فلا تتردّدَ في إيَمانِها.

قالَ عِفْريتٌ من الجنِّ: أنَا يا نَبيَّ اللَّه.

قالَ سليمانُ: مَتَى؟

قالَ العفريتُ: أستطيعُ أن آتيَكَ به قَبل أن تقُومَ من مَجْلِسكَ.

لَمْ تُعجِبْ سليمانَ هَذه الإجابةُ، وطَمِعَ في رَأيٍ آخرَ أسرعَ؛ فبَلقيسُ علَى الأبوَابِ.

قالَ سليمانُ: بَل أريدُ مَنْ يأتيني به حالاً.

وهنَا صاحَ الذي عندَه علمٌ من الكتاب، وقد منحَه اللهُ قوة عظيمة، وعلماً واسعاً:

- يا نبيَّ اللَّه، أستطيعُ أنا أنْ آتيَكَ به قبلَ أن ترتدَّ إليكَ نظرةُ عينَيْكَ.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠]

فأذنَ له سليمانُ.

وما هيَ إلا طَرفةُ عَينٍ حتَّى أُحضِرَ عرشُ بَلقيسَ بينَ يدَيْ سليمانَ.

﴿... فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]

فشكرَ سليمانُ ـ عليه السلام ـ ربَّه وأثنى عليه لما أعطاهُ من النعمِ العظيمةِ، وهذهِ القوةِ الكبيرةِ التي منحها اللهُ إياه.

قامَ سليمانُ من مكَانه، ودارَ حولَ العَرشِ فأعجبَ به إعجَابًا شَديدًا، لجَوْدَة صناعَته، ورَوعَة ألْوَانه، وثراءِ مادَّته.

ثمَّ عادَ إلى مكَانه مرةً أخرَى، وقالَ:

أريدُ أن تُنَكِّرُوا هذَا العَرْشَ، وتعدِّلُوا من ألوانه ومَوادِّه؛ حتَّى تزدادَ دهشةُ بَلقيسَ حينَما تَراه، وتظنُّ أنَّه لَيسَ عرشَها.

اجتمعَ الجنُّ علَى العَرْش فغيَّروا شيئًا من ملامحه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]

ودخلَ الهدهُد علَى سليمانَ يخبرُه بقُدومِ بَلقيسَ، فأعطَى سليمانُ الإذنَ بالدُّخُول.

كانَ علَى بلقيسَ أن تَسيرَ فوقَ الأرْضِ الزُّجـاجيَّة التي تبدُو وكأنَّها ماءٌ، فيه سمَكُ البحر وأعشابُه.

ظنتَّ بلقـيسُ أنَّهـا تعـبرُ المكـانَ إلى سليمـانَ فـوقَ الماء، فكشـفَت عن ساقَيْها، لكنَّها اكتشفَتْ أنه زجاجٌ أبيضُ فوقَ البَحْر.

ثم تقدَّمَت إلى سُليمانَ فاستقبلَها استقبالاً حَسنًا.

ثم التفتَتْ فرأت العرشَ، فسألَها سليمانُ:

- أهكَذا عرشُكِ؟

قالتْ: كأنَّه هُو!

لقد اسـتبعدَت الملـكةُ أن يكونَ هذا عرشَها؛ فـقْد تركَتْـه خلفَ عَدد من الأبوَاب المقفلة، وأوقفَتْ على قَصْرِها حراسةً مشدَّدةً.

لكنَّها أعادَت النظرَ مرةً أخرَى، فوقفَتْ مُشَتَّتَةَ الفِكْرِ، حائرةَ القَلبِ.

ويدْعُوهَا سليمانُ إلى الإيمَان بالله، فلا تتردَّدُ.

ثُم أمرَتْ قومَها أيضًا أن يُعلنُوا إيمانَهم بربِّ العَرْش، ربِّ السَّمَوات والأرْضِ، وربِّ النِّعْمَة، وربِّ النَّاس جميعًا.

وطلبَتْ بلقيسُ أن تضمَّ مُلْكَها إلى مُلك سُلَيمانَ، واعترفَتْ لسليمانَ أنَّها وقومَها كانُوا على ضَلال.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٢ - ٤٤]

كانَ الهدهدُ يقفُ علَى يَمين سليمانَ ـ عليه السَّلامُ ـ يتابعُ ما يحدثُ، وتَملأُ قلبَه الفرحةُ والسعادةُ.

لقَد أفلَحَ الهُدهدُ أن يكونَ سفيرًا أمينًا قويّاً بليغًا بين سيِّده وهذه المَلكة العَظيمة.

وأسفرَ المجهودُ الذي قامَ به عن هَذا المَشْهَد الإيمانيِّ باللَّه تعالىَ.

لقد حملَ هذا الطائرُ الصغيرُ همَّ الإسلامِ والدعوةِ إلى اللهِ تعالى، وكان سبباً بإذنِ الله وتوفيقه في دخولِ أمةٍ كبيرةٍ في دينِ الله تعالى، فهلاّ فكَّرنا نحنُ أيُّها الأحبةُ في أن نكونَ مثلَ هذا الهدهدِ، فإسلامُنا يناديا والمسلمون بحاجةٍ إلينا فمتى نلبي النداء...!!

ومنذُ ذلكَ الزَّمنِ البَعيدِ احتلَّ هُدْهُدُ سليمانَ في قُلوبِ البَشرِ جميعًا مكانةً فَريدةً متميزةً.

obeikandl.com